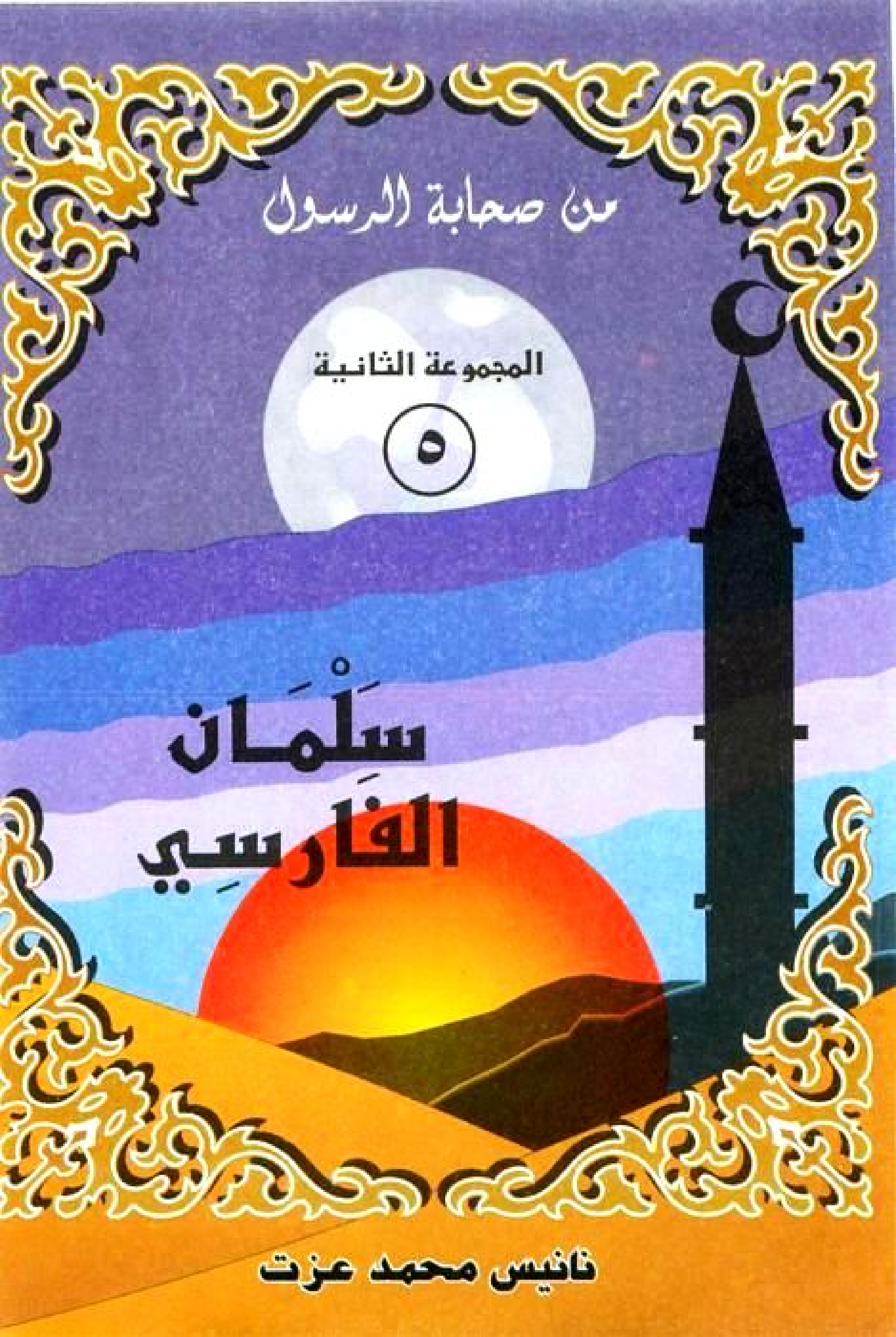


من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
٥
سَلْمَان
الفَارِسِي
نانيس محمد عزت

سلمان الفارسى

طلب مدرِّسُ التَّربيةِ الدِّينيَّة من تلاميذه ، أن يقوموا بعمل بحث عن « غزوةِ الخندق » ويقدِّموه إليه بعدَ أُسبوعين .

تكاسلَ التَّلاميذ ، ولم ينشطْ منهم أحدٌ لإعدادِ البحثِ المطلوب ، ما عدا أحمدَ فقد أخذ المَوضوع مأخذَ الجدِّ ، واهتمَّ بإعدادِ بحثٍ وافٍ عن الموضوع ، فذهب إلى مكتبةِ المدرسة واطَّلع على كثيرٍ من المَراجع ، حتى اكتملَ له بحثٌ وافٍ شاملٌ عن « غزوةِ الخندق » .

وفى الموعدِ المحدَّدِ لتقديمِ البُحوث ، ظهر أنَّ أحدًا من التَّلاميذ لم يقُمْ بإعدادِ البحث المطلوب ، اللَّهمَّ إلاَّ أحمد . فغضبَ المدرِّس عليهم لتكاسُلِهم وتواكُلِهم ، وقال لهم : يجب ألاَّ تَعتمِدوا فى استِذكار دروسِكم على أُسلوبِ الحفظِ والتَّلقين ، فإنَّ ما تحفظونه اليومَ عن ظهرِ قلب ، ستَنسونَه بعد وقتٍ قليل . أمَّا الموادُّ الَّتى تتعبونَ فى البحثِ عنها ، وتجمعونَها بأنفسِكم ، فلن تَنسَوْها أبدًا مهما طالَ عليها الزَّمن .

ثمَّ قال لهم : ستكونُ جائزةُ التّفوُّقِ هذا الشّهر من نصيبِ أحمد . هيا يا أحمدُ قم واعرِض على زُملائك ما أعددتَه عن غَزوةِ الخندق .

قال أحمد : شكرًا لك يا أُستاذ ، وأرجو أن تسمحَ لى أن يكونَ عرضى لأحداثِ غَزوةِ الخندق ، من خلال قصّةِ حياةِ أحدِ الصّحابة ، وهو سلمانُ الفارسِيّ . فقد أُعجبت فى أَثناء إعدادى للبَحثِ المطلوب ، بقصّةِ حياةِ واحد من صَحابةِ رسولِ اللّه المُقرَّبِين ، وهو سلمانُ الفارسِيّ ، فدفعنى إعجابى به لأن أتتبّعَ سيرَته منذ أن كان غلاما صغيرا وحتّى وفاتِه .

قال الأُستاذ محمّد : أُهنّئك يا بُنَيّ ، وأُحييّ فيك ذكاءَك ونشاطَك .

وبدأ أحمدُ يحكى قصّةَ حياةِ سَلمانَ الفارسِيّ فقال : نشأ سلمانُ فى « أَصبَهان » ببلادِ فارس ، وكان أبوه رئيسَ القريةِ وأغنَى رجُلٍ فيها ، وكان سلمانُ أحبَّ أبنائِه إليه ، فكانَ من خوفِه عليه يحبِسُه فى البيتِ كما تُحبَس الفَتَيات .

وكانَ سلمان ـ مثلَ كلِّ أهلِ فارس ـ يعبُدُ النَّار ، وقد أخلصَ فى عبادَةِ النّار حتّى أوكلوا إليه أمرَها ليتعهّدَها بنفسه حتى لا تنطفئَ أبدا . وكان لأبيه ضَيْعَةٌ كبيرةٌ تُدِرُّ عليه أموالا كثيرة ، وكان يَعتنى بها ويُشرِفُ عليها بنفسِه .

وحدثَ ذات يومٍ أن انشغَلَ أبوهُ عنِ الذّهابِ إلى ضَيعَتِه ، فأرسل سلمانَ ليرعَى شئونَها بدلاً منه . وفى طريقِهِ إليها مرَّ سلمانُ بكَنيسةٍ للنَّصارَى ، وسمعَ أصواتَ صَلواتِهِم تنبعثُ منها فأعجَبَته ، ووجدَ أنَّ النّصرانيَّةَ أفضلُ من عِبادَةِ النّار الّتى يعبُدُها أبوهُ وأهلُه . وعلِمَ أنَّ أصلَ دينِ النّصارى فى بلادِ الشّام ، ونسِيَ سلمانُ نفسَهُ ومكثَ فى الكنيسَةِ حتى غَربتِ الشّمس .

وقلِقَ عليه أبوه لتأخُّرِهِ فبعث من يَبحثُ عنه . وعِندما حضرَ سلمانُ حدّثَ أباه عن النّصرانِيّة ، وقال إنّها فى رأيِهِ أفضلُ من عبادَةِ النّار ، وأنه يفكّرُ فى اعْتِناقها .

وخشِيَ أبوهُ أن يترُكَ ابنُه دينَ آبائِهِ ويعتَنِقَ دينًا آخر ، فحبسَه فى الدّار وقيّد رِجلَيه بقَيدٍ من حَديد .

وعزَّ على سلمانَ أن يَحولَ أبوهُ بينَه وبينَ الدِّينِ الجَديدِ الّذى أحبَّهُ وفكَّر أن يَعتنِقَه ، فبعث إلى النَّصارَى يقول لهم : إذا قدِم عليكم ركبٌ متَّجهٌ إلى بلاد الشّام فأعلِمونى . فعندَما وصلت إلى أصبهانَ قافلةٌ متوجِّهةٌ إلى بلادِ الشّام ، تحايلَ سلمانُ على قُيودِه فكسرَها ، وفرَّ هارِبا ليلحقَ بالشّامِ يَبحثُ عمَّن يُعلِّمُه مبادئَ النَّصرانية ، وتَعاليمَ الدّينِ المَسيحىّ .

هنا سألَ أحدُ التَّلاميذِ المُدرِّس : أتركَ سلمانُ أباهُ وقَومَه وحياةَ التَّرفِ الّتى كانَ يَحياها ، وهربَ من كلٍّ ذلك ليبحثَ عن تعلُّمِ دينٍ جَديد ؟

ردَّ عليه أحمدُ بقولِه : نعم ، وأُطلقَ على سلمانَ لقبُه الّذى عُرِف به : « الباحثُ عن الحَقيقة » ، فقد أمضَى جلَّ سنين عُمرِه وهو يبحثُ عن الدِّين الحقِّ الّذى ترتاحُ إليه نَفسُه ، وعمّن يعلِّمُه إياه .

وفى بلادِ الشّام تعرَّفَ سلمانُ إلى راعى الكَنيسَة ، وأقام عنده ليخدُمَه ويتعلَّم منه . ولكنَّ راعى الكَنيسَةِ هذا

كان فاسِدا ، يُبطن خِلافَ ما يُظهِر ، فكان يَحُثُّ النَّاس على دَفعِ الصَّدقاتِ ويَجمَعُها منهم ، ثمَّ يَكنِز ما يَجمعُه لَنفسِه ، ولا يُنفقُ منه شيئًا فى سبيلِ اللَّه .

وقد كرِه سَلمانُ ذلك الرَّاهبَ وأبغَضَه ، حتَّى إنَّه عندما مات وأراد النَّاسُ أن يَدفِنوه ، أخبرَهُم بحَقيقةِ أمرِه ، وأرشدَهم إلَى المَكانِ الَّذى يُخفى فيه أموالَه . فوجدوا عِندَه سبعَ قُدورٍ مُملوءةً بالذَّهبِ والفِضَّة . فعِندَما رأَوْا ذلك الكَنزَ قالوا : واللَّه لا نَدفِنُه . فصلبوه ورَجَموه بالحِجارة .

وخلَفَ ذلك الرَّاهبَ الفاسدَ فى مَنصِبه ، راهبٌ آخرُ كان أحسنَ مِثالٍ للصَّلاحِ والوَرعِ والزُّهد ، فأحبَّه سَلمانُ وتَبِعه وتعلَّم منه الكَثير . وحينَ أشرفَ الرَّاهبُ الزَّاهدُ على المَوت ، أرشدَ سلمانَ إلى راهبٍ صالحٍ فى المَوصِل ، الَّذى حينَ وافَته المَنيَّةُ أرشدَ سلمانَ بدَورِه إلى راهِبٍ صالحٍ فى نَصيبِيْن . وهكذا تنقَّل سلمانُ من بلد إلى بلد ، يسعَى وراء العلم والدِّين .

إلى أن كان بعموريَّة ، فقال له راهبُها وقد حضره

الموت : واللّه يا بُنىَّ لا أعلمُ أنَّ أحدًا من النّاسِ بقــىَ علـى ظهرِ الأرض مُستمسِكا بما كنّا عليــه مـن صـدقِ الإيمـان . ولكنّى أعلم أنّه قد أطلَّ زمانٌ يخرج فيه بأرض العرب نَبــىٌّ يُبعثُ بدينِ إبراهيمَ الخليل ، ثمَّ يُهاجر مــن بلـدِه إلى أرضٍ ذاتِ حرَّتين ـ والحرَّةُ أرض ذاتُ حجـارة سـود نَخِـرة أى مُفتّتة ـ وله علامات لا تخفى ، فهو يأكل الهَديَّة ، ولا يأكل الصَّدقة ، وبين كتِفيه خاتَم النُّبوَّة ، فإذا رأيتَه عرفتَه .

ومنذ تلك اللَّحظةِ عرَف سـلمانُ أنَّ وِجهتَـه فـى الحيـاة أصبحت ـ دونَ غيرِها ـ بلادَ العرب .

وعندما وفدت إلى عُموريَّةَ قافلةٌ بها بعض تُجّار العــرب من قبيلـة كَلـب ، قـال لهم سـلمانُ « احملونـى معكـم إلى أرضِ العرب » ، ودفع لهم مقابل أن يحملـوه معهـم بعضَ بَقراتٍ وغُنَيماتٍ كانت له . ولكنَّهم سَرعانَ ما غدروا بــه عند وادى القُرَى ، وباعوه رَقيقًا لأحدِ اليَهود ، الّذى باعه بدَورِه إلى ابنِ عمٍّ له من بنى قُرَيظَة .

ومـا أن رأى سلمانُ يثربَ بعَينَيه ، حتّى أيقــنَ أنَّهـا

الأرضُ الموعودَةُ الّتى سيُهاجر إليها النّبىُّ المُرتَقب . ومكث فيها يَنتظِر قُدومَه إليها على أحرِّ من الجَمر .

قال الأستاذُ مُحمَّد : رائعٌ يا ولدى ! استمرَّ فى قِصَّتك ، فقد درستَ شخصيَّةَ سلمانَ وعرَضتَها عرضا بَسيطًا مُشوِّقًا ، بارك اللّه فيك !

وراح أحمد يُكمِل قِصَّته فقال : وكان أوَّلُ عهدِ سلمانَ بالرَّسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ حين كان يعملُ على رأسِ نَخلةٍ لسيِّدِه ، وكان سيِّدُه يجلس تحتَ النَّخلة ، فأقبل ابنُ عمٍّ لسَيِّدِه وقال : قاتلَ اللّه بنى قَيْلَه ـ الأوسَ والخَزرَج ـ فإنّهم مُجتمِعون الآنَ بقُباءَ على رجلٍ قدِمَ إليهم اليومَ من مكّة ، يزعُم أنّه نَبىّ .

وصلتْ هذه الكلماتُ إلى أُذن سلْمان ، فدارتْ به الأرضُ الفَضاءُ حتّى كاد يسقط فوق سيِّده ، ونزل مُسرعا يَستفسِر عن الأمر ، ممّا أغضبَ سيِّده عليه ، وكان نصيبُه صفعةً قويّةً على وجهه ، ليعودَ إلى عملِه .

وفى مَساء اليومِ نَفسِه ، ذهب سلمانُ إلى قُباءَ وأخذ

معه بعضَ التَّمر ، وقال للنَّبىِّ ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ : بلغنى أنَّك رجل صالح ، ومعك أصحابٌ غُرباءُ ذوو حاجَة ، وهذا شىءٌ كان عندى للصَّدقة ، فرأيتُكم أحقَّ به من غيركم .

فأكلوا جميعا ما عدا الرَّسول ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ فإنَّه لم يأكل منه . قالَ سلمان فى نفسِه : هذه واحدة !

وعاوَّد سلمانُ ذلك مرَّةً أخرَى ، فذهب إلى يَثرِبَ وحملَ معه بعضَ التَّمر ، وقال : إنِّى رأيتُك لا تأكلُ الصَّدَقة ، وهذه هَديَّةٌ أكرمْتُك بها .

فأكلَ منها الرَّسول ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ وأمر أصحابَه فأكلوا .

فقال سلمانُ فى نَفسِه : وهذه الثَّانِيَة !

وبقِىَ خاتَمُ النُّبوَّةِ بين كتِفيه ، الَّذى ما أن رآه سلمانُ حتَّى أكبَّ على الرَّسول يُقبِّله ، وأعلنَ إسلامَه بين يديه . وقد حالَ الرِّقُّ بين سلمانَ وبين شُهودِ غزوتَىْ بَدرٍ وأُحُد ، فلم يشهَدْهُما . فقالَ له الرَّسول ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ

ذاتَ يوم : كاتبْ سيِّدَك حتّى يُعتِقَك .

فكاتبَ سلمانُ سيِّده على ثلاثمائةِ نَخلة ، يُحييها له بالفَقير — الحُفرةُ تغرس فيها فَسيلةُ النّخل — وأربعينَ أوقِيَة . وأمر النّبيُّ — صلّى اللّه عليه وسلّم — أصحابَه أن يُعاونوا أخاهم ، حتّى أكرمَه اللّهُ وأعتقَه سيِّدُه وعاش مُسلِما حُرًا ، وشهد مع الرّسول — صلّى اللّه عليه وسلّم — غزوة الخندق ، والمشاهدَ كلّها .

هنا وقفَ أحد التّلاميذِ وقال : إنّ سلمان واللّهِ أهلٌ للإسْلامِ ولصُحبَةِ الرّسول — صلّى اللّه عليه وسلّم — فقد بذلَ من الجَهدِ والتّعبِ الكثير ، وعانَى من الرّقّ والذُّلّ إلى أن وصلَ إلى برّ الأمان ، واستطاع أن يُعلن إسلامَه ويَستعيدَ حُرّيّته .

واستمرّ أحمد فقال : ونصلُ فى قِصّتِنا إلى غزوة الخَندق ، ونعلمُ جميعًا أنّ بعضَ زُعماء يهودِ بنى النُّضَير ، قاموا لحربِ المُسلمينَ ودَعَوا قُريشًا للخروج ، وجَمعوا قبائلَ غَطَفان وبنى مُرّةَ وبنى فَزارَة ، واتّفقوا على أن

يخرجوا لحــربِ مُحمَّد ، وتَواعـدَوا أن يَلتقـوا جَميعًا فـى المكانِ والزّمانِ المُحدَّدَيْن .

وشاورَ الرَّسول ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ أصحابَـه فـى الأمر ـ فلا قِبلَ لهم وهم قِلَّة ـ بمُلاقاةِ هذا العَـدُوِّ بـأعدادِه الكَبيرَة وعُدَدِه الكَثيرَة .

وهنا جاءَ الـدَّور على سـلمانَ الفارسِـىِّ ليُدلِـىَ برأيِـه ، فالمدينة مَحوطَةٌ بـالصُّخورِ من كـلِّ جانِب ، إلاّ أنَّ هنـاك فَجوَةٌ يَستطيع جيشُ الأعداءِ أن ينفُذَ منها .

فأشار سلمانُ على الرَّسول ـ صلَّى اللّه عليه وسـلّم ـ أن يحفِرَ المُسلِمون خَندقًا يُغطِّى المِنطَقةَ المكشوفَة ، وكـانت فِكرةُ حَفرِ خندَق ، فِكرةً غريبة على العرب لم يألفوها مـن قبل . واشتركو جَميعًا فى حَفرِ الخندق ومعهم الرَّسول ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ يحمِلُ الحِجـارةَ بيَديْـهِ الكَريمَتَيْـن ، وفيما هـم يَعملـون إذْ ظهـرت لسـلمانَ صَخـرةٌ عَصِيَّـة لا تُجدى مَعها المَعاوِلُ ولا الضَّرَبـات ، واسـتأذنَ سـلمانُ الرَّسولَ ليُغيِّر مجرَى الخَندق ، ليتفادَى الصَّخرة .

وحملَ الرّسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ المِعوَلَ بيَديه ، وسمّى اللّه ثم هوَى على الصّخرةِ بالمِعوَل ، فظهر وهَجٌ أضاءَ المدينَةَ كلّها ، وقال النّبيُّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ : اللّهُ أكبر ! أُعطيتُ مَفاتيحَ فارس . ثم هوَى بالمِعول للمَرَّةِ الثَانِيَة وقال : اللّهُ أكبر ! أُعطيتُ مَفاتيحَ الرّوم . ثمَّ هوى بالمِعولِ للمرّةِ الثّالِثَة فتحطّمتِ الصّخرة ، وأنبأهم ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أنه يُبصِر الآنَ قصورَ سوريَّة وصنعاءَ وما سِواهُما من مدائنِ الأرض ، الّتى سوفَ تُرفرِف علَيها رايَةُ الإسلام . وهكذا نبّأ اللّه سُبحانَه وتَعالى نبيّه الكريم ، وبشّره بفتح بلادِ فارسَ والرّومِ وسائر البلادِ العربيَّة .

ووصلت جُيوشُ الأعداء الجرّارةُ تحت إمرَةِ أبى سُفيان ، ففوجئوا بوجودِ الخَندقِ الّذى لم يألفوا خُدعةً مثله من قبل . وحاصرت جيوشُهم المدينة . ولكن جاء النّصر من عندِ اللّهِ ، فهبّت رياحٌ عاصفةٌ شَديدة ، قلعتِ الخِيام وقلبتِ القُدور ، وغَلبتِ الجُيوشَ المُحاصِرَةِ على أمرِها ، فانسَحَبتْ مضطرَّةً بغير قتال .

قالَ الأستاذُ مُحمَّد : لقد عرضتَ علينا يا أحمد أحداثَ الغَزوة ، وشرحتها لنا شرحا وافيا ، فأخبرنا الآنَ عمّا فَعله سلمانُ بعدَ غَزوةِ الخَندق .

قال أحمد : استمرَّ سلمانُ طِوالَ حياةِ الرّسول ـــ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وفى أثناءِ خلافةِ أبى بكرٍ الصّديق وعمرَ ابنِ الخَطّاب ، مُجاهدا فى سَبيل اللّه ، عابدًا زاهدًا فى الدُّنيا ، وكان يُصرُّ على أن يأكُلَ من عَملِ يَدِه . وعلى الرّغم من أنّ عطاءَه كان وَفيرا بينَ ثَلاثةِ آلافٍ إلى ستّةِ آلافٍ فى العام ، إلا أنّه كان يُوزِّعُها جميعا على الفقراء ، ويرفض أن ينالَ منها دِرهَما واحدا ، ويَقول : أشترى خوصا بدِرهم أعمَلُه وأبيعُه بثلاثَةِ دراهم . فأشترى منها بدِرهَمٍ خوصا ، وأُنفق دِرهَما على عيالى ، وأتصدّقُ بالدّرهم الثّالث ، ولو أنّ عمرَ بنَ الخَطّاب نهانى عن ذلك ما انتَهَيْت .

وكان سلمانُ مِثالاً للزُّهدِ والتّقشُّف ، وقد حدث نتيجةَ لذلك مَوقِفٌ طَريفٌ أيّامَ كان أميرًا على المَدائن ، وقد

استمرَّ على زُهدِهِ ولم يُغيِّر شيئًا من حالِهِ فما زالَ يَعملُ بالخوصِ ويَلبَسُ أبسطَ المَلابس ، فقد رآهُ رجلٌ قادمٌ من الشَام ـ غريبٌ عن البلد ـــ وكان يَحمِل حِملاً ثقيلاً ، فأرادَ أن يَحمِلَ سلمانُ الحملَ عنه لقاءَ بعضِ دَراهم . وفى الطَّريق راح سلمانُ يسلِّمُ على النَّاسِ فَيردّونَ عليهِ السَّلام : وعلى الأميرِ السَّلام . وهكذا حتَّى شكَّ الرَّجل الغَريب فى أمرِ الحَمَّال الّذى استأجَرَه . وعندَما علم الرَّجل أنَّه هو الأمير ـــ أميرُ فارِسَ سلمانُ الفارِسِىّ ـــ اعتذرَ له وهمَّ أن يحمِلَ الحِملَ عنه ، ولكنَّ سلمانَ أصرَّ أن يُكمِلَ السَّيرَ حتَّى وصل إلى مَنزِلِ الرَّجُل .

قال أحدُ التّلاميذ : يا لَلزُّهدِ والوَرَع ! إنَّ سلمانَ وهو أميرٌ لا يختلف عن أىِّ فقير من فُقراءِ المَدينة ، حتَّى إنَّ الغريب لم يُميِّزه عن غيرِه .

قال أحمد : أتَعلمون كيف كان مَنزِلُه ؟ كان عِبارةً عن بنايَةٍ يستَظِلُّ بها من الحَرّ ويَحتَمى فيها من البَرد ، إذا وقف أصابت رأسَه ، وإذا اضطجع أصابت رِجلَيه .

وعلَى الرّغمِ من تَقشُّفِهِ وزُهدِهِ ، فإنَّه حين وافتهُ المنِيَّةُ في خلافةِ عثمانَ بن عفانَ كان حَزينا يبكي . وعندما سأله رِفاقُه عما يُبكيهِ ردَّ عليهم بقَولِه : إنَّما أبكي لا جزَعًا من المَوت ، ولا حِرصًا على الدُّنيا ، ولكن الرّسولَ ــ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ــ عهِدَ إلينا فقال : (لتكن بُلغَةُ أحدِكم مثلَ زادِ الرّاكِب) لم يكن مَتاعُ سلمانَ يُساوي عِشرينَ دِرهَما . وأمر سلمانُ زوجتَه وهو يستقبلُ الموت ، أن تُعطِّرَ حُجرتَه بزُجاجةِ عِطرٍ يَحتفظ بها لتلك اللَّحظةِ المُهيبَة ، ثمَّ أمرَها بالانْصرافِ لتَصعدَ روحه لِلقاء ربِّه زكيَّة عَطِرَة ، بما كان له من جَهدٍ وبَذلٍ وعَطاءٍ للإسلام .

قال الأُستاذ مُحمَّد : أحسنتَ يا أحمد : إنَّك تَستحِقُّ عن جَدارةٍ جائزةَ التّفوُّق ، فشُكرا لك على مَجهودِك ، وشكرًا لأُسلوبك السَّهلِ المُشوِّق .

وقالَ التّلاميذ : نحنُ آسِفون يا أُستاذَنا لتَكاسُلِنا ، ونرجو منك أن تُحدِّدَ لنا مَوضوعًا آخرَ لِلبحث ، وسوف تَجِدُنا إن شاءَ اللَّهُ في مِثلِ نشَاط أحمدَ وهِمَّته .